المسرح اللامعقول : من مظاهر التاثير الغربي على الادب العربي:

عُد مسرح اللامعقول من أهم الحركات المسرحية الطليعية في القرن العشرين. وقد تأثرت الحركة بالفلسفة اللاعقلانية وأدب الغرابة والسريالية والدادية ووجودية سارتر. ومن رواد هذا الاتجاه المسرحي صمويل بيكيتBeckett، ويونيسكو Ionescoوأرابال Arrabal وأداموف .Adamov وقد عرف مسرح اللامعقول أوجه مع سنوات الخمسين وبقي تأثيره حتى سنوات السبعين. وينبني هذا المسرح على الغرابة والشذوذ واللامنطق وانعدام الترابط السببي حتى في اللغة واستعمال لغة الصمت واللاتواصل والحركات السيميائية الموحية. إنه مسرح يعبر عن لا معقولية هذه الحياة، ويفتقد العقد التقليدية وتنعدم فيه الحلول كما هو الحال بالنسبة لمسرحية بكيت في (انتظار غودو) ناهيك عن غموض أفكار هذا المسرح وإيغاله في التجريد الرمزي وتكسير الوحدات الأرسطية والعبث بها كما نجد ذلك في (الحبل المتهدل) لأرابال و(الكراسي) ليونسكو ومسرحية (الغرفة .(وقد ينعدم الحوار في هذه العروض الدرامية اللامعقولة إذ لا تتكلم الشخصيات إلا بحوار غامض أو متقطع أو بكلمة أو بكلمتين أو يكون كلاما مبهما بل نجد شخصيات صماء وخرساء مثل مسرحية(النادل الأخرس.

لقد تعرض مسرح العبث في بداياته للنقد الشرس والتجريح والقذف من قبل النقاد والجمهور على حد سواء. لكن بعد ذلك صار لهذه الموجة الجديدة مريدوها ومناصروها من أوربا وكافة أقطار المعمورة حتى أن المسرح العربي نفسه جرب التعامل مع هذا التيار في إطار البحث عن قالب مسرحي متميز، وهو ما ما نجده عند اتوفيق الحكيم مثلا في مسرحية " يا طالع الشجرة " التي حاول من خلالها تأصيل العبث واللامعقول في المواويل الشعبية!

غير أن نظرتنا إلى مسرح العبث يجب ألا تحكمها السلبية و"الشوفينية "، لأن هذه الصيحة الفكرية والفنية ليست دعوة إلى الصمت والرضى بالأمر الواقع والانصياع لأزمات الحياة، وإلا كيف نفسر مشاركة (بكيت)Beckett في الحرب العالمية الثانية للقضاء على

النازية؟ وكيف نبرر كذلك اعتناق (أداموف) Adamov للماركسية واعتباره الناطق شبه الرسمي للمسرح السياسي الهادف؟.

إن مسرح العبث قراءة واعية وعميقة لواقعنا المعاصر، وهو كذلك مرأة تعكس بصدق التحولات المتسارعة التي أطرت حياة الإنسان في ظل الحضارة المادية الغربية. وهو ما يبرز انتشار هذا التيار المسرحي في الدول الرأسمالية التي تعرف صراعا طبقيا حادا، وسيادة مطلقة للثقافة البورجوازية الرثة.

-تأثر توفيق الحكيم بالمسرح الغربي:

كانت فرنسا البلد الأوروبي الذي استقطب الحكيم لمتابعة دراسته القانونية، وبدلا من الاهتمام بها، انصرف إلى المسرح والتركيز عليه خصوصا المسرح الذهني، الذي مثله أحسن تمثيل: **ابسن النرويجي، وبرنارد شو الايرلندي"**والمسرح الذهني فن لم يبتكره توفيق الحكيم، بل هو اتجاه عام ظهر في القرن الماضي في الآداب العالمية، فيما يسمى بالدراما الحديثة التي ابتدأها ابسن النرويجي، ثمّ أمعن في هذا الاتجاه برنارد شو الأيرلندي"

وتعددت رحلات الحكيم إلى فرنسا، لتزداد صلاته بوسطها الثقافي، فكانت نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، فترة انتقال جديدة بالنسبة إلى كاتبنا، فالحركة المسرحية آنذاك قد عرفت تيارا مسرحيا جديدا، هو **مسرح العبث**، الذي استقطب العديد من الكتاب والنقاد من مختلف أنحاء العالم.

وعلى اعتبار أن الحكيم أديبا يطمح للتجديد، وتقديم تنوع مسرحي، فقد كان من الكتاب المسرحيين العرب الأوائل الذين اطلّعوا على المسرح الجديد، وهذا ما تبين في مقدمة مسرحية "يا طالع الشجرة""وأخيرا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى الأخص في السنوات الخمسين لهذا القرن، بوادر مدرسة جديدة في المسرح، ولم أفكر أثناء إقامتي بفرنسا، أن أقترب منها، لم أكن أتصور أني سأهتم يوما، وقد غرست قدمي كل تلك الأعوام في أرض أخرى"

يُعد الحكيم أحد الكتاب المسرحيين العرب الذين تركوا أثرا كبيرا في المسرح العربي الحديث، إلى أن الحكيم كان كثير التنقل إلى فرنسا، فتأثر بالحركة المسرحية فيها، ولكن ما يهمنا هو علاقته بمسرح العبث أو اللامعقول.

اطّلع كاتبنا على هذا التيار المسرحي عن قرب، بحكم تواجده بفرنسا مابين ١٩٥٩و ١٩٦٠، لكنه سرعان ما تجاهله ليلتفت إليه من جديد عام١٩٦٢، والسبب في عودته هذه اهتمامه بمسألة التجديد في البناء المسرحي، وقد "اعترف شخصيا أن ما جذبه إلى هذا النوع المسرحي، هو شكله غير المألوف، فرغب في خوض التجربة ليتحرر بدوره من القوالب التقليدية الجاهزة".

وإن شارك الحكيم كتاب المسرح الجديد الشكل المسرحي، إلا أنه أنكر مشاركته لهم نظرتهم للوجود القائم عندهم على العبث واللاجدوى، وعلى أساس هذه المخالفة في النظرة للوجود، فقد

استبدل الحكيم مصطلح"**العبث**" بمصطلح "**اللامعقول"**، فالحياة عنده معقولة في بنائها، أما اللامعقول لديه فهو الشكل الذي تُقولب فيه هذه الحياة. كشفت مسرحية الحكيم هذه عن رغبة مؤلفنا المسرحي في طَرق ماهو جديدا، إنها إذن تجربة جديدة فريدة ومتميّزة، شكّلت لتفسها اهتماما عند جمهور النقاد والقرّاء.

كتب الحكيم هذه المسرحية بتأثير مباشر من مسرح العبث الغربي وخاصة من مسرح يونسكو وبيكيت، باعتبارهما أهم ممثلي هذا المسرح، وما ساعدنا على تثبيت ما ذهبنا إليه، هو تصريحات الحكيم نفسه، التي بيّنت لنا ارتباطه المباشر بالتيار المسرحي الجديد.

تراءت لنا من خلال تجربة الحكيم هذه، قدرته على مجاراة التغييرات المختلفة التي تطرأ في العالم المسرحي، ورغبته في الابتعاد عن أية عصّبية من شأنها أن تضعه في خانة الركود والجمود.

والملاحظ أن الحكيم لم يستمر في الاتجاه اللامألوف هذا في مسرحياته التي تواترت فيما بعد، بل رجع إلى الشكل التقليدي الموروث، هذا الرجوع يوضح أنه أراد تجريب ما شاع في الساحة المسرحية.